وعاء عظيم ليدَّخر لشتائه كمية من العنب امكنهُ ان يتَّخذ لذلك صندوقًا عاديًا فيصيب به المرام

وفي لبنان قومٌ من اهل الزراعة لهم في حفظ العنب ذريعةٌ بسيطة تمكّنهم من استبقائه الى غاية كانون الثاني فانهم يلفّوا العناقيد باكياس من الخام . لكنَّ هذه الطريقة فضلًا عن قصورها في حفظ العنب بحالة جيدة لا يمكن استعمالها سوى في دوالي العنب المعرّشة الغير المعرّضة لهبات الرياح . ومع هذا فانَّ النتيجة لا تكون مقرَّرة ثابتة . ومنهم من يحفظ العنب في الدبس . ولا نظنُّ انَّ لهذه الطريقة فائدةً حريَّةً بالذكر الّا اننا لم نختبرها بنفسنا والسلام

أسئلة وأجوبة

عيد القديسة بربارة في سورية

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب لنا جناب عبد الله بك شرّ ما حرفهُ : اعتاد السوريّون ان يحيوا ليلة عيد القديسة بربارة باللهو والطرب وأكل الاطعمة النفيسة والحلويات المختصة بهذه الليلة فما هو منشأ هذه العادة وهل هي جارية فقط في سورية ام في سائر البلاد المسيحية ومن اي زمن نشأت في تلك الليلة عادة التكحل الشنيعة المضرّة وهل طاف اولاد الحلّة على البيوت قديم ام حديث وما سبب تجليبهم باللابس الهزلية والقبعات المختلفة الالوان والحجم

جواب المشرق

قبل الجواب على ما اقترحهُ علينا الكاتب الاديب نرى من المناسب ان نصدّر كلامنا بملخص ترجمة القديسة بربارة التي احتُفل بذكرها في الاسبوع الماضي فانَّ بيان خلاصة سيرتها من شأنه ان يميط القناع عن العوائد الجارية في يوم عيدها فنقول :

انَّ القديسة بربارة من اعظم الشهيدات المذارى اللواتي يفتخر بهنَّ الشرق المسيحي لكنَّها قد أصابها ما اصاب كثيرًا من مشاهير الرجال الذين اختلبوا عقولَ البشر بصفاتهم الحميدة ومزاياهم الفريدة وطبّقت اخبارهم اقاصي المعمورة . فلعظم حيرتهم في النفوس ترى الناس يتقوّلون فيهم الاقاويل العجيبة وينسبون اليهم الامور الغريبة حتى لا يكاد اصحاب

النقد يفرزون بين اخبارهم الصحيحة وما عُزي اليهم من الاقاصيص المُختلقة الغريبة . وكذا جرى للقديسة التي نحن بصددها فانّ ما أبدتهُ من الشهامة والبسالة في مقاساة ضروب العذاب لتذبّ عن حقوق دينها رغمًا عن صغر سنها ولُطف بنيتها وغضارة عيشها عمل في قلوب الجمهور فاستباها . ولذلك انتشر اسمها في الآفاق وتعدّدت فيها الاقاويل

فان بحثنا مثلًا عن وطن القديسة بربارة ترى البعض يقولون ان مولدها في نيقوميدية والبعض في عين شمس (Héliopolis) بمصر وغيرهم في حلبك وقومٌ يزعم انّها ولدت في حلب وآخرون انّها ايطالية ولدت في بلاد تُسكانة . وكذا قُلْ عن بقيّة تفاصيل اخبارها فانك لا تجد كاتبين يتّفقان في بيان احوالها . فمنهم من يرتأي انّها نشأت في اوائل القرن الثالث وتأدّبت على اوريجانس الملفان الشهير واستشهدت على عهد مكسيمينوس الملك (المتوفّى سنة ٢٣٨) وناقضهم غيرهم فقالوا انّ القديسة بربارة فازت باكليل الشهيدات في ايّام ديوكليسيان (٢٨٤—٣٠٥) . وكلُّهم يستفيضون في وصف المعجزات التي صنعتها والعذابات التي قاستها قبل ان تظفر بالمُغتصب وتنال جزاء الابرار في جنّة الخلود

امّا اذا عرضنا شهادات التاريخ بعضها على بعض وانتقينا فيما ما نراه اقرب الى الصواب فيكون لباب ترجمة القديسة بربارة كما يلي انّها وُلدت في نيكوميدية من ابوين عريقين في الحسب والنسب وكان ابوها ديوسقوروس من عَبَدة الاوثان بيد انّهُ خرّج ابنتهُ بكل آداب ذلك العصر . ولمّا كانت بربارة ثاقبة العقل متوقّدة الذهن لم تلبث ان تدرك بطلان عبادة الاصنام وتشمئزّ من فساد اخلاق المتديّنين به واتاح لها الله الاجتماع ببعض ارباب النصرانية فاخذت عنهُ مبادئ الدين القويم وثبّتها في دينها ما رأتهُ في نصارى ذلك العصر من الثبات على انواع المحن . فلمّا علم بامرها ابوها تصدّى ليثنيها عن عزمها والتجأ تارةً الى الوعد وتارةً الى الوعيد وحملت به غلظة الطباع الى ان يسوقها الى الحاكم مرقيانوس . فحاول الحاكم ان يستعطف خاطرها بضروب اللطف فأبت الّا الثبات على دينها والاستمساك بعروته الوثقى فاذاقها مرّ النكال فلم تخضع كلُّ هذه الوسائل في قسرها على التوثّن . فقضى الحاكم اذ ذاك بموتها . وكان ابوها يحتضر آلام ابنته والدين جامدة والقلب كالجلمود كانهُ خلع عنه شعائر الانسانية فلما سمع بالحكم على ابنته بالموت لم يأتُ ان يطلب الى الوالي بان يتولّى بنفسهِ قتلها فتطوع رأسها بالفأس . الّا انّ الله لم يدع هذا الاثم دون عقاب فبينما كان ديوسقوروس راجعًا الى بيتهِ اذ ابرقت السماء وارعدت فاصيب بصاعقةٍ

وساخت به الارض . وكذا جرى لرقيانس الوالي المتعصب

فما شاعت اخبار القديسة بربارة في المشرق حتى اقبل المؤمنون على اكرامها من كل فجٍّ وبنوا على ذكرها الكنائس العديدة في كل الانحاء . وفي القرون المتوسطة نقل الصليبيُّون قسماً من ذخائرها الى البندقية والى رومة العُظمى فانتشرت في المغرب العبادة نحوها كما في المشرق وشرَّف اللهُ وليَّتهُ بالمعجزات الباهرة تأييداً لهذه العبادة . هذه خلاصة ترجمة القديسة . وعلى هذا الاساس بُنيت جملةٌ من اعتقادات العامَّة والعوائد التي عمَّت كثيراً من البلاد

ونصارى الغرب يدعون باسم القديسة بربارة ويلتجئون الى حمايتها في البلايا والاخطار لاسيَّما وقت هبوط الصاعقة وفي ساعة الموت لئلَّا تفجأهم المنون دون ان يتزوَّدوا بالاسرار الاخيرة . ومما يروى في سيرة القديس استانسلاوس الراهب اليسوعيّ انهُ استشفع بالقديسة بربارة اذ كان مُدنفاً على الموت وليس لهُ من يُقيتهُ بسرّ القربان الاقدس فلبَّت الى دعائه وظهرت لهُ مع ملَكين ناولهُ احدهما زاد الملائكة

وكذلك قد يُكرِّم هذه الشهيدة في الغرب اصحاب الحِرَف والصناعات الخطرة كالذين يُطلقون المدافع ويزاولون صنع البارود ويشتغلون بالاسلحة ويسبكون المعادن . وكذلك ترى كل من يخاطرون بحياتهم قد اتخذوا القديسة كشفيعة خاصَّة لهم كالبنائين والناضحين وغيرهم . وهذا كلهُ مبنيٌّ على قصَّة وفاة ابيها ديوسقوروس فجأةً . ولذلك يصوِّرها المصورون تارة قائمة منتصبة وفي يدها حقَّةُ القربان الاقدس وتارة يمثلونها بين المدافع والقنابل ومستودعات البارود وربَّما رسموا صورة ابيها عند أقدامها مصعوقاً بنار السماء

وممَّن يعدُّون القديسة بربارة شفيعة لهم الرُّماةُ ومن يلعب بالكُرَة والصولجان وهذا محمول على رواية قديمة تنسب الى الشهيدة المذكورة انَّها نازعت ملك الروم في رَمْي السهام وغلبتهُ مع حذقه لانها كانت اتخذت ذلك كدليل عن صحة دينها وبطلان عبادته . وهذه الرواية قد اثبتها الخواجا ميخائيل سيرفي في رسالة ادرجها في مجلَّة الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨٨٩ .

اما اهل الشرق فكانوا يحتفلون سابقاً بعيد القديسة بربارة بجلبةٍ عظيمة . وقد امتاز بينهم في ذلك اهل سوريَّة (١ ولاسيما البيروتيون كما شهد عليه صاحب تاريخ بيروت يحيى

١) ولا يزال النصيرية تقسهم يحتفلون بعيد القديسة بربارة كما اخبرنا عنهم الثقة

ابن صالح في اواسط القرن الخامس عشر (راجع المشرق ص ٨٦). واهل دمشق وحلب يتغنون الى يومنا بأغنية عامية في مديحها اخترنا منها ما يلي :

القديسة بربارة عند الرب مختاره ابوها هالكافر كان عبّاد حجاره
احضر بنته للديوان وخاطبها بشان الاديان قالت لهُ قدّام الاعيان انا على دين النصارى
قال لها يا بنتي طيبني ولا تمشّيني ارجعي على ما كنتي وبطّلي هالجباره
قالت يا اجهل الناس أني عتلك وسواس لو قطعت مني الراس لا اعبد الحجاره
فشال الحربة ليرشقها صارت الحربة سنّاره جاب الحبلة ليشنقها صارت الحبلة زنّارا
قال للقوم خذوها ومن شعرها اسحبوها وكلّ العذاب عذّبوها لتغيّر افكارا
مدّوها على الساجات وغرزوها بالحربات وقلعوا منها النابات فراح الكل خساره
قالوا لهُ يا مسكين دَع بنتك ما بتلين ولو قطعتها بالسكين وحميت عليها غضاره
صرخ الاب للسيّاف اعطني السيف ولا تخاف أقتل بنتي بلا خلاف وتروح بذنبها برباره
قالت البنت يارحمان يا خالق كل الاكوان اقبل دمي كالقربان حيّاً بدين النصارى

ومن عوائد اهل الشام ان يتخذوا في مساء عيدها (وتدعى تلك الليلة البيّنة) حُلويات وقطائف (عوّامات) ويسلقوا قمحاً ويجتمع الاصحاب والاقارب في البيوت ليحيوا تلك الليلة في المسامرات والافراح وربّما اوقدوا الشموع وطاف الاحداث حول المائدة التي وُضعت عليها اصناف المآكل فرحين صارخين. وذكر الدكتور كامل سليمان خوري (راجع المشرق ص ٣٤٧) انّ النساء يتألّبن في حمص عشيّة ذلك العيد ويمدحنَ القديسة بمدائح مخصوصة ويُضئنَ شمعةً يضعنَ فوقها وعاء معدنيًّا فيه ماء فيحككنَ ما تجمّع فيه من السناج (الشحّار) ويتكحّلنَ هنَّ واولادهنَّ والغريب النازل في بيتهنَّ ظنًّا منهنَّ بانَ مَن تكحل هكذا لا يخشى الرَّمد في تلك السنة. اما في سواحل الشام ولبنان فيجتمع بعض الشبّان ويختارون بينهم واحدًا يسوّدونهُ عرندسًا يسوّدون وجههُ ويلبّسونهُ بالباسه ثيابًا هزلية ويطوفون بهِ على البيوت ليدّهم اصحابها بدُريهمات او بعض المطاعم تلطّفًا من عندهم

اما اصل هذه العوائد والمراد بها فانّنا نظنّ انها ترتقي الى القرون السالفة اذ كانت النصرانية في عزّها في بلاد الشرق فكان النصارى يجتمعون ليحتفلوا بهذا العيد بقدر طاقتهم من الأبهة والرونق كما كانوا يفعلون في عشية الاعياد الكبرى ثم اتخذوا في افراحهم ما رأوهُ ممثّلاً لاخبار الشهيدة القديسة فدلّوا على استنارتها بنبراس الايمان بالتكحل وعلى مجاهرتها بدينها بايقاد الشموع وعلى ثباتها في دينها وسط العذاب بسَلق القمح وعلى ظفرها بالافراح السرمدية بالحلويات والقطائف. اما لبس المسوح والطواف على البيوت في هذه الحالة فلعلّهُ

يراد به تمثيل خدم الحاكم واعداء الشهيدة الذين اعتنوا بربارة وطافوا بها في ساحات البلدة ليسروها الهوان قبل قتلها كما يُذكر في اعمال استشهادها

منشورات

حرير جديد

ضرب المثل عند العرب في نسيج العنكبوت اشارةً لوهن الشيء وضعفه فيقال اوهى من نسيج العنكبوت وهاك اليوم تنبئنا الاخبار الواردة من مدغشكار عن عنكبوت اكتشفها الاب كمبواي المرسل اليسوعي الشهير بتآليفه في علمَي الحيوان والنبات ولها نسيج غاية في المتانة والرقّة بحيث اذا حِيكَ يغلب على حرير القزّ صفاقةً ونعومةً. وقد دعا الاب كمبواي هذه العنكبوت النسّاجة المدغشكارية (nephila Madagascarensis) وهي كثيرة في تلك الجزيرة والاهلون يدعونها «حَلَبة» الّا انهم لم يفكّروا بحياكة نسيجها. فعدَّد الاب كمبواي الامتحانات فكان معدّل ما يجمع من نسيج كل عنكبوت في النهار فوق المئة متر امكنهُ نسجها كما يُنسج الحرير وقد اثنت الجمعيات العلمية على هذا الاكتشاف وهي تبني عليه الآمال الطيّبة للمستقبل

النوتي

سُئلت مجلّة الضياء عن لفظة النوتي بمعنى البحّار أفصيحة هي ام لا فأجابت انها فصيحة واثبتت ذلك بالمثل الّا انها تردّدت في اصل الكلمة أعربيّة هي ام معرّبة. (فنقول) ان النوتيّ لفظة معرّبة عن اليونانيّة ναύτης التي منها اشتقّت اللفظة اللاتينية (nauta) والعرب قد اخذوا كثيرًا من الفاظ فنّ الملاحة عن اليونان. وقد وهم من اشتقّها من الفارسية «ناوي». على اننا لا ننكر وجود علاقة بين الفارسية واليونانيّة. اما اشتقاق لفظة النوتي من «نات ينوتُ» اذا تمايل من النعاس كأنّ النوتي يُميل السفينة من جانب الى آخر. فهو من غرائب اشتقاقات بعض العرب كما اشتقّوا «ابليس» من «بلس» و«خندريس» من «خِدْر العروس»

ل.ش